

معالم توحيد الاتباع

الأستاذ عبد الغفار البراجيلي

وجود القدوة الحسنة في حياة الأمم والشعوب والدعوات ضرورة حتمية؛ ليقتنى بها، وتكتسب منها المعالم الإيجابية في الحياة: سواء مع الله تعالى في أداء العبادات والفرائض، أو مع النفس وتزكيتها وتربيتها على الأخلاق الفاضلة، أو مع الأهل والأبناء داخل الأسرة من أجل بناء أسرة متماسكة، أو مع المجتمع في أمور الدين والدنيا.

السلفية

لذلك جعل الله تعالى الرسول ﷺ قدوة حسنة يجسد الدين الذي أرسل به، حتى يعيش الناس مع هذا الدين واقعاً حقيقياً، فكان الرسول ﷺ خير قدوة للأمة في تطبيق هذا الدين؛ ليكون مناراً لها إلى يوم القيامة، لذا فإنه يجب على كل مسلم الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ، فالإقتداء أساس الاهتداء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

لهذه العلة أرسل الله تعالى الرسل ليخاطبهم الناس ويقتدوا بهداهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفَتُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

فالقدوة لا تزال مؤثرة في النفس الإنسانية؛ لأنها من أقوى الوسائل التربوية تأثيراً؛ لشغفها بالإعجاب بمن هو أعلى منها كمالاً، ولأنها مهية للتأثر بشخصيته ومحاولة محاكاته ولذلك؛ فإن الدعوة بالقدوة أنجح أسلوب لبث القيم والمبادئ التي يعتنقها الداعية.

فمنهج الإسلام يحتاج إلى بشر يحمله ويترجمه بسلوكه وتصرفاته، فيحوله إلى واقع عملي محسوس وملمس، ولذلك كان ﷺ الصورة الكاملة للمنهج:

وهكذا ينبغي أن نتعامل معه كمشروع للتطبيق العملي؛ اقتداء به ﷺ في جميع مناحي حياتنا، وتحويله لواقع ملموس يرى أثره عليهم سلوكاً وتطبيقاً.

وكذلك كان رسول الله ﷺ في جميع مسارات الحياة دون استثناء: في البيت والمجتمع والقيادة والدعوة.

١- قدوة في بيته:

على أفراد الأمة اتباع منهج النبي ﷺ في بيته، والتخلق بأخلاقه التعامل مع الأهل. فلقد انبثقت سائر أعماله ﷺ من قوله تعالى: ﴿وَلَنِكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فكان هذا الخلق واضحاً جلياً في سيرته العطرة في جميع مناحي حياته الأسرية مع زوجاته وبناته؛ حيث كان يحدثهم بأطيب الكلمات وأرق التعابير، وكان يلاعبهم ويلطفهم، ويدخل السرور على قلوبهم، ويعدل بينهم، ولقد وصفت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خلق النبي ﷺ حين قالت: «كان خلقه القرآن».

٢- قدوة في مجتمعه:

لقد كان رسول الله ﷺ على درجة رفيعة من الخلق العظيم في التعامل مع مجتمعه، فلم يكن يستعلي على أحد منهم: يقابلهم بالوجه الحسن المبسم، ويشاركهم في أفراحهم وأتراحهم، ويهتم بقضاياهم، ويسعى لحلها، ويساوي بينهم جميعاً دون تمييز أو تفريق: عرباً كانوا أو عجماً، صغاراً كانوا أو كباراً، ومن هنا استمد المجتمع قوته وصلابته،

وصار كالبيان المرصوص.

٣- قدوة لحاكم وقائد:

لقد عني المصطفى ﷺ بالفرد كأساس لقيام الدولة والمشروع كله تربية وتنشئة وتقويماً، ومن ثم أرسى في المجتمع أسس العدل والحرية بين جميع أفراد المجتمع. وكان ﷺ القائد المتواضع الرقيق؛ الذي يسهر على مصالح الناس، ويستشعر قدر المسؤولية الملقاة على عاتق المسئول، ويغرس هذا الفهم في النفوس؛ فهو القائل ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته».

وعلى هذا رعى ﷺ أصحابه، فلما تولوا أمر الناس من بعده جعلوه قدوتهم في ذلك، فعزوا وسعدوا وأعزوا أمتهم ودينهم.

٤- قدوة في الإصلاح والتغيير:

واجه النبي ﷺ أوضاعاً سياسية غاية في الفساد، على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، ولمواجهتها وتغييرها أعلن منذ البداية أن الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة هما وحدهما طريق الإصلاح وسبيل التغيير، وأرسى منذ اللحظة الأولى أهم قاعدة للإصلاح والتغيير حين قال: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، وظل ﷺ يغرس

التعامل مع الأمور، لذا ينبغي أن تكون قراءتنا لحياة نبينا قراءة الباحث عن المنهج الذي يضبط له أموره.

ولا يجب أن يكون اقتداؤنا بالنبى ﷺ في جانب دون آخر، فعلينا الاقتداء الشامل بالنبى الكريم ﷺ في كافة الجوانب، وبذل أقصى جهد لتحقيق ذلك.

إن الاقتداء الحقيقي بالنبى ﷺ يتطلب منا: العمل بسنته باطنًا وظاهرًا، وحبًا لصاحب المنهج، ومعرفة بمنهجه الذي نريد الاقتداء به فيه، ووعيًا بالقيم العظيمة التي نستلهمها من حياته، والتدرج بالنفس شيئًا فشيئًا حتى تكون صبغتها الدائمة هي الحياة على المنهج النبوي، والاسترشاد بمن اقتدى بالنبى ﷺ من المصلحين ليتحقق الثبات على المنهج النبوي: كتابًا وسنة بفهم سلف الأمة.

الإيمان في القلوب، ويزكي به النفوس، ويطهر به الأفئدة، ويقيم به بعد ذلك دعائم الدولة. وهذه كانت نقطة الانطلاق؛ لتحقيق التغيير والإصلاح على كافة الجوانب، وفي مستوياتها المختلفة، على أساس متين من الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة في قلوب أفراد ربانيين، أنشؤوا مجتمعًا صالحًا إيمانيًا، ودولة ربانية، غيرت وجه التاريخ.

٥- كيفية الاقتداء:

إن أول خطوة في معالم الاقتداء بالنبى الكريم ﷺ هي أن نعرف بمن نقتدي، وفيما نقتدي به، وذلك بمدارسة سيرة النبى الكريم ﷺ وسنته؛ حتى نتعلم كيف كانت حياته، وكيف كانت معاملاته، وكيف كان يسير في جوانب حياته كلها، فإنه ﷺ هو الإنسان الوحيد الذي كانت حياته كلها كتابًا مفتوحًا للجميع، فلم يكن في حياته الجانب الخاص الذي لا يعرفه الناس، بل إن حياته كلها كانت معروفة لأصحابه، ودونت حتى تقرأها أمته من بعده إلى قيام الساعة.

فالواجب علينا الارتباط بالمنهج والقيم الثابتة فيه، ومحاولة تكييف حياتنا؛ كي تتماشى مع هذه القيم الثابتة حتى نجعلها حاكمةً لحياتنا، كما يجب أن نستخرج من خلال قراءتنا لسيرة النبى ﷺ روحه في

قال الإمام الألباني رحمه الله،

«فما حيلتنا مع أناس ندعوهم إلى اتباع الكتاب والسنة، لينجوا بذلك من العصبية المذهبية، والفاوذة الحيوانية، فيأبون علينا إلا أن يستمروا على عصبيتهم وغبائوتهم؟»

وليس هذا فقط، بل ويدعوننا والناس جميعًا إلى أن تقلدهم؛ لتصير ضالين أغبياء مثلهم لا وهنا أتذكر أن من السنة أن يقول المعالي إذا رأى مبتلى، «الحمد لله الذي عاقبني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً» وما لا شك فيه أن المبتلى في دينه، أخطر من المبتلى في بدنه.

«الآيات البيئات في عدم سماع الاموات» (ص ٩-١٠).